

تفسير البحر المحيط

@ 460 @ الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار ولا يهتدون

لالحق . .

2 ({ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا * ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا * وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لِّنُخْلِقَ بِهِ بَلَادَةً مَّيِّنًا وَنُصْقِئَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْزَلْنَاهُ كَثِيرًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا * وَلَوْ شِئْنَا لَبعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا * فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا * وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا * وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا * وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا * الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنْ نَسْجُدَ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا { (2)

تكرار :

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا * ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا * وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لِّنُخْلِقَ بِهِ بَلَادَةً مَّيِّنًا وَنُصْقِئَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْزَلْنَاهُ كَثِيرًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا * وَلَوْ شِئْنَا لَبعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا * فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا * وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا * وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا * وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا * الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنْ نَسْجُدَ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا { (2)

* يَدَى رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لَنُذْهِبَ بِهِ
بَلَادَةً مَّيِّتًا وَنُصْقِطَ بِهِ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْزَعَامًا وَأَنْزَلْنَاهُ كَثِيرًا *
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا هُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا
كُفُورًا * وَلَوْ شِئْنَا لَیَعْنُنَا فِی كُلِّ قَرْیَةٍ نَذِیرًا * فَلَا تُطِيع
الْكَافِرِینَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا * وَهُوَ الَّذِی مَرَجَ
الْبَحْرَینِ هَآذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَآذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَیْنَهُمَا
بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا * وَهُوَ الَّذِی خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا
فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا * وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ
طَهِيرًا * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا *
وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَىِّ الَّذِی لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ
بِذُنُوبٍ عِبَادَهُ خَبِيرًا * الَّذِی خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا
بَیْنَهُمَا فِی سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ
فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا
وَمَا الرَّحْمَنُ أَنْزَسُجْدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا { . } .

لما بيّن تعالى جهل المعترضين على دلائل الصانع وفساد طريقتهم ذكر أنواعاً من الدلائل
الواضحة التي تدل على قدرته التامة لعلمهم يتدبرونها ويؤمنون بمن هذه قدرته وتصرفه في
عالمه ، فبدأ بحال الظل في زيادته ونقصانه وتغيره من حال إلى حال وأن ذلك جار على
مشيئته . وتقدم الكلام على { أَلَمْ تَرَ } في البقرة في قصة الذي حاج إبراهيم .
والمعنى { أَلَمْ تَرَ } { إِلَى } صنع { رَبِّكَ } وقدرته . و { كَيْفَ } سؤال عن حال في
موضع نصب بمد . والجملة في موضع متعلق { أَلَمْ تَرَ } لأن { تَرَ } معلقة والجملة
الاستفهامية التي هي معلق عنها فعل القلب ليس باقي على حقيقة الاستفهام . فالمعنى ألم تر
إلى مد ربك الظل . .

وقال الجمهور : { الظِّلُّ } هنا من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس مثل ظل الجنة ظل ممدود
لا شمس فيه ولا ظلمة . واعترض بأنه في غير النهار بل في بقايا الليل ولا يسمى ظلاً . وقيل
: { الظِّلُّ } الليل لا ظل الأرض وهو يغمر الدنيا كلها . وقيل : من غيبوبة الشمس إلى
طلوعها وهذا هو القول الذي قبله ولكن أورده كذا . وقيل : ظلال الأشياء كلها كقوله { أَوَ
لَمْ يَرَوْا } إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ * يَتَفَيَّأُ ظِلَّالُهُ { . } وقال
أبو عبيدة : { الظِّلُّ } بالغداة والفيء بالعشي . وقال ابن السكيت : { الظِّلُّ } ما

نسخته الشمس والفيء ما نسخ الشمس . وقيل : ما لم تكن عليه الشمس ظل وما كانت عليه
فزالت فيء . .

{ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلْنَاهُ سَاكِنًا } قال ابن عباس وقتادة وابن زيد : كظل الجنة
الذي لا شمس تذهب به . وقال مجاهد : لا تصيبه ولا تزول . وقال الحسن : { وَلَوْ شَاءَ } لتركه
ظلاً كما هو . وقيل : لأدامه أبداً بمنع طلوع الشمس بعد غيوبتها ، فلما طلعت الشمس دلت
على زوال الظل وبدا فيه النقصان فبطلوع الشمس يبدو